

إلى متى والبعض منك

بِقِطْمِ
د. عَبدِ الرَّسَّامِ بْنِ سَالِمِ السَّحَيْمِي

دار الفکر
المطبعة والنشر

مكتبة
دار النصيحة

مصور لادخ

أبي حيدر الرمن والملقي

والفلسطيني

إِلَى مَسْتَقْبَلِ
وَالْبَعْضُ مِنْ خَلْقِكَ

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

الطبعة الأولى لـ :

مكتبة
دار النسيحة

(ح) عبد السلام بن سالم السحيمي، ١٤٢٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السحيمي، عبد السلام بن سالم
إلى متى والبعض يخذع. / عبد السلام بن سالم السحيمي
المدينة المنورة، ١٤٢٧ هـ
٨٠ ص ؛ ١٤ X ٢٠ سم
ردمك: ٧ - ٦٩٢ - ٥٦ - ٩٩٦٠

١ - الإرهاب - السعودية، ٢ - المقالات العربية - السعودية أ. العنوان
ديوي ٣٢٧، ١٢٥٣١ ١٤٢٧/٥٨٥٩

مكتبة
دار النسيحة

المملكة العربية السعودية - المدينة النبوية - حي الفيصلية - أمام الباب الجنوبي للجامعة الإسلامية

جوال: ٠٥٤/٣٤٧٣٢٣ - ت وفاكس: ٨٤٧٠٧٠٨

البريد الإلكتروني: Daralnasihaa@yahoo.com

إلى متى والبعوض ينجس

بقلم
د. محمد السيد بن سالم السحيمي

دار
المنهج النبوي

مصر - ٠٠٢ / ٠١٠١٨٠٦٣١٢

مكتبة
دار الصحابة

السعودية - ٠٠٩٦٦٥٠٤٣٤٧٣٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على عبد الله ورسوله
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد كتبت عدة مقالات بعد أحداث ما يسمى الحادي عشر
من سبتمبر وهي:

١- مقال بعنوان: «الفكر الإرهابي الذي أنتج إرهاباً حسيّاً»
ونشر في جريدة الوطن عدد ٤٣١ بتاريخ ١٩/٩/١٤٢٢ هـ.

٢- مقال بعنوان: «رد على تعقيب الزهراني»، نشر بجريدة
الوطن عدد ٤٦٦ بتاريخ ٢٤/١٠/١٤٢٢ هـ. بعنوان: «حقق
الكفار عن طريق الغلاة مآربهم في ديار المسلمين».

٣- مقال بعنوان: «افتراءات على السعودية وعلى الدعوة السلفية»، نشر بجريدة الوطن بتاريخ ٢٦ شوال عام ١٤٢٣ هـ، ونشر بعنوان: «محمد بن عبد الوهاب داعية وليس مؤسسًا».

٤- مقالان بعنوان: «إلى متى والبعض يخدع ١، ٢» بعثت بهما إلى جريدة الوطن لينشرا في مقالين متتاليين، وقد نشر الثاني منهما، بعنوان: «على الغالين أن يخافوا الله ولا يفرقوا الأمة أكثر» مع حذف الكثير من العبارات، وإضافة بعض الكلمات، مما غيّر المقال وحد من المعنى المقصود منه، وقد نشر بتاريخ ٨ محرم ١٤٢٤ هـ بالعدد رقم (٨٩٣).

ثم بعثت بالمقالين إلى جريدة الرياض، وقد نشرا كاملين بدون حذف، أحدهما بعنوان: «قراءة في فكر الجماعات الإسلامية إلى متى والبعض يخدع»، والآخر بعنوان: «قراءة في فكر الجماعات الإسلامية صيحة نذير»، بالعدد ١٢٧٤٦، ١٢٧٤٧ بتاريخ ١٧، ١٨/٣/١٤٢٤ هـ.

٥- مقال بعنوان: «شيء من فقه الجهاد في الإسلام» بعثت به لجريدة الرياض بتاريخ ٣٠/٣/١٤٢٤هـ، وقد نشر بجريدة الرياض عدد ١٢٧٧٧ بتاريخ ١٨/٤/١٤٢٤هـ.

وقد بينت في هذه المقالات حقيقة الدعوة السلفية، وأنها تعني: اتباع الكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة، وأن هذا هو الحق الذي يجب اتباعه، وأن بلادنا السعودية - حرسها الله - ولاية، وعلماء، وفكرًا، ومنهaja هي مطبقة للسلفية بمعناها الصحيح، وحذرت من أفكار جماعة الإخوان المسلمين بتوجهاتها الثلاث: «البنائي (التجميعي)، والقطبي، والسروري»، وأرى أن فكرها يعتبر خلاصة لأفكار الفرق الضالة التي حذر منها أئمة الإسلام: «الخوارج، والجهمية، والمعتزلة، والمرجئة، والصوفية»، ولكن ولأن قادة هذه الجماعة ورموزها ومفكرها يملكون قوة إعلامية هائلة في العالم الإسلامي، فقد روج ذلك للكثير من أفكارها داخل بلاد المسلمين، وإظهارها على أنها تمثل الإسلام، وتدافع عنه، وتقف في وجه أعدائه، وتريد إعادة الخلافة الإسلامية.

وقد استخدموا كل سبيل ممكن لتحقيق ذلك وفق ما يسمى الغاية تبرر الوسيلة، وأرهبوا مخالفينهم بشتى أنواع الإرهاب، سواء كان المخالفون حكامًا أو محكومين، علماء أو عامة، كتابًا أو مفكرين، وأرى أن فكر هذه الجماعة قد استشرى في بلدنا في أوساط بعض المدارس والكليات والجامعات والمكتبات من قبل من يسمون قادة ودعاة الصحوة.

وأن المناهج الدراسية المقررة في بلدنا، وما تحمله من عقيدة صافية، ومنهج سليم شيء، وما يقوم به بعض الدعاة والمدرسين والكتّاب شيء آخر، يضاف إلى ذلك ما يوصى به، ويحث عليه من كتب في المراكز الصيفية، والمسابقات الثقافية، والأنشطة اللامنهجية، والسيطرة على المكتبات الصوتية، وما يسمى بالتسجيلات الإسلامية، والإشراف التربوي، والتوجيه الطلابي في أغلب المدارس، وأن من يقوم بالدعوة والنصح وفق المنهج الصحيح يحارب أشد المحاربة ويضيق عليه وتشوه سمعته من قبلهم والأمر جد خطير.

وإن التفجيرات التي وقعت في الرياض مؤخرًا، وما سبقها

من تفجيرات في الرياض والخبر وأماكن أخرى في العالم الإسلامي كالجزائر، ومصر، وغيرها قد سبقت بأمور منها التنفير من العلماء الناصحين المخلصين، المتبعين لمنهج السلف، ووصفهم بعدم فهم فقه الواقع، وبأنهم عملاء للسلطين، وبأنهم جواسيس، ومداهنون، وبأنهم يعيشون في أبراج عاجية ولم يفتحوا أبوابهم للشباب، وغير ذلك من المطاعن الظالمة.

ثم تلا ذلك التكفير للولادة، ولمن يتعاون معهم، ثم تلا ذلك التفجيرات، والكتب والمؤلفات التي تُنظر لهذا الفكر وتغذيه هي كتب سيد قطب وأتباعه من أمثال محمد قطب، وصالح الصاوي، وعبد الرحمن عبد الخالق، ومحمد أحمد الراشد (اسم حركي)، ومحمد سرور زين العابدين، وهذا الأخير من أخطرهم حيث لبس على الكثير من الناس، وأظهر فكر الخوارج في ثوبه الجديد على أنه فكر السلف، وعلى أنه فكر أهل السنة والجماعة.

واستطاع أتباع هذا الفكر السيطرة على معظم المراكز الإسلامية

في العالم الإسلامي، وقد جعلت عنوان هذه المقالات:

« إلى متى والبعض يخدع »

وقد اقترحتُ بعض الاقتراحات التي ضمنتها هذه المقالات، وأرجو أن يكون في ذلك فائدة ونصح لأئمة المسلمين وعامتهم، والله من وراء القصد.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بقلم

د. عبد السلام بن سالم السحيمي

المدينة النبوية

١٤٢٤هـ

(١)

الفكر الإرهابي الذي أنتج إرهاباً حسيّاً

إن التاريخ الإسلامي في مختلف عصوره شهد الكثير من
الغلاقل والفتن من بعض من يتسبب للإسلام ممن لم يحقق المعنى
الصحيح للإسلام.

وإن من أبرز من أثار الفتن والمشاكل للمسلمين (فرقة
الخواارج) وهم الذين خرجوا على ولي الأمر في آخر عهد عثمان
رضي الله عنه، ونتج عن خروجهم قتل عثمان رضي الله عنه.

وفي خلافة علي رضي الله عنه زاد شرهم وانشقوا عليه وكفّروه
وكفّروا الصحابة؛ لأنهم لم يوافقوهم على مذهبهم وهم يحكمون
على من خالفهم في مذهبهم أنه كافر فكفّروا خيرة الخلق.

ومذهب الخوارج أنهم لا يلتزمون بالسنة والجماعة، ولا يطيعون ولي الأمر، ويرون الخروج عليه من الدين عكس ما أمر الله به من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] فطاعة ولي الأمر المسلم من الدين.

والخوارج لا يرون ذلك كما هي حال بعض الثورات اليوم، فالخوارج يرون تفريق جماعة المسلمين وشق عصا الطاعة، ويرون أن مرتكب الكبيرة كافر ومرتكب الكبيرة هو الزاني، وشارب الخمر، والمرابي، يرون أنه كافر؛ في حين أن أهل الحق أهل السنة والجماعة يرون أنه مسلم ناقص الإيمان.

والسبب الذي أوقع الخوارج في التكفير: هو أنهم ليس عندهم فقه؛ لأنهم اشتدوا في العبادة والصلاة والصيام وتلاوة القرآن، وعندهم غيرة شديدة؛ لكنهم لا يفقهون وهذه هي الآفة، فالاجتهاد في العبادة والورع لا بد أن يكون مع الفقه في الدين والعلم.

ولهذا وصفهم رسول الله ﷺ لأصحابه بأن الصحابة يحقرون صلاتهم إلى صلاتهم، وعبادتهم إلى عبادتهم، ثم قال ﷺ: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». مع عبادتهم ومع صلاحهم، ومع تهجدهم، وقيام الليل؛ لكن لما كان اجتهادهم ليس عن أصل صحيح، ولا على علم صحيح صار ضلالاً وشرّاً عليهم وعلى الأمة.

ومما عرف به الخوارج أنهم يقاتلون المسلمين دائماً، فقتلوا عثمان، وقتلوا علي بن أبي طالب، وقتلوا الزبير بن العوام، وقتلوا خيار الصحابة، وما زالوا يقتلون المسلمين.

يقول الشيخ العلامة صالح الفوزان: وواجب على المسلمين في كل عصر إذا تحققوا من وجود هذا المذهب الخبيث أن يعالجوه بالدعوة إلى الله أولاً، وتبصير الناس بذلك؛ فإن لم يمثلوا قاتلوهم دفعاً لشرهم.

إذن؛ ففكر الخوارج فكر إرهابي مدمر يخالف حقيقة الدين الإسلامي، وإن المتأثر بهذا الفكر الإرهابي يصعب منعه من تنفيذ مآربه لشدة ضلاله وانحرافه، والتاريخ خير شاهد، وقد عانت

بلادنا - حرسها الله - من بعض من تأثر بهذا الفكر الإرهابي كما حصل في حوادث الاعتداءات على الحرم المكي الشريف، وما تلا ذلك من اعتداءات ذهب ضحيتها بعض الأبرياء.

وإنني أرى أن من الأسباب التي جعلت بعض مواطني هذه البلاد يشاركون في أعمال إرهابية هو تأثرهم بالفكر الخارجي التكفيري، وإن من أسباب وجود هذا الفكر في هذا العصر هو وجود الكثير من المؤلفات المعاصرة، والتي اتخذت مسميات عديدة وأساليب متنوعة؛ لكنها في النهاية إنما هي خلاصة للفكر الخارجي التكفيري الإرهابي.

وإن أبرز المؤلفات التي شحنت بعض شبابنا بالفكر الخارجي:

هي بعض مؤلفات سيد قطب، ومن تأثر بفكره ممن جاء بعده مثل محمد قطب، ومحمد سرور، والترابي، ومحمد أحمد الراشد، وصلاح الصاوي، وعبد الرحمن عبد الخالق وغيرهم ممن تأثر بفكرهم من أبناء هذه البلاد، وإن سيد قطب هو الذي وضع الأسس الرئيسة للفكر الخارجي التكفيري في هذا العصر، ولذلك تعتبر مؤلفاته

هي الأخطر؛ لأنها المرجع التي يرجع إليها المتأثرون بهذا الفكر سواء من أبناء هذه البلاد، أو من غيرها؛ لأنه قلّ أن تخلو مكتبة عامة، أو خاصة من كتب سيد قطب؛ بل إنه قلّ أن توجد مدرسة متوسطة، أو ثانوية للبنين، أو البنات إلا وتوجد بها كتب سيد، وقلّ أن توجد كلية من الكليات في بلادنا -حرسها الله- إلا وتوجد بها كتب سيد؛ بل ويُحَضُّ، ويُحَثُّ الطلاب على الرجوع إليها، والاستفادة منها، وقلّ أن يوجد من يحذر من الأخطاء والأخطار الموجودة في كتب سيد -رحمه الله-.

وإن جميع قادة الجماعات المتطرفة ومنظريها جعلوا كتب سيد قطب هي الأساس التي يربى عليها الشباب؛ لأن كتب سيد مسموح بدخولها إلى جميع البلدان تقريباً؛ ولأن ما قد يعجز عن التصريح به من بعض قادة الجماعات الحزبية المتطرفة من تكفير الحكام والمجتمعات الإسلامية بلا استثناء تقوم بذلك نيابةً عنهم كتب سيد وبالإحالة عليها يحصل المقصود لهم، ويسلمون في نظرهم من تبعات ما قد يجره عليهم التصريح بالتكفير.

وهناك إرهاب فكري منظم لدى الجماعات الحزبية، يتضمن محاربة كل من ينتقد فكر سيد قطب، أو يبدي بعض الملحوظات عليه، وأنا أذكر بعض الأمثلة فقط التي تدل على أن فكر سيد قطب يمثل خلاصة للفكر الخارجي، وأنه يعتبر واضع الأسس لهذا الفكر في هذا العصر.

١- أنه قال في كتابه العدالة الاجتماعية (ص ٢١٦) -عن الثورة على عثمان رضي الله عنه-: «إنها كانت ثورة من روح الإسلام». بل إنه لم يعتبر خلافة عثمان رضي الله عنه خلافة صحيحة، واعتبرها فجوة بين خلافة عمر وعلي رضي الله عنهما، كما في (ص ٢٣٤) من كتاب العدالة الاجتماعية، فإذا كان سيد قطب لم يعتبر خلافة عثمان رضي الله عنه شيئاً فكيف يعتبر حكم من كان دون عثمان رضي الله عنه؟!!!

٢- قال في كتابه في ظلال القرآن (٤/ ٢٢١٢) -بعد كلام كثير خطير يتضمن تكفير الأمة قاطبة ما نصه-: «... إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة، ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه شريعة الله والفقهاء الإسلاميين».

وهذا تكفيرٌ صريح لمن على وجه الأرض في زمانه، ولم يستثن مجتمعاً من المجتمعات الإسلامية، ولا دولة من الدول الإسلامية، مع أنه في ذلك الوقت الذي حكم فيه سيد بهذا الحكم الجائر توجد دولة التوحيد التي قد حكمت الشريعة في جميع شئونها، وهي المملكة العربية السعودية.

وما ذكره سيد مع مخالفته للواقع مخالف أيضاً لقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين...». الحديث.

٣- ولكن كما تقدم أن سيد قطب لم يرض عن خلافة عثمان رضي الله عنه فكيف يرضى بخلافة وحكم من دونه؟ ويقول سيد، وهو يتحدث عن وجوب الاعتزال عن مجتمعات الأرض الجاهلية، ومن ثم اعتزال المساجد الواقعة فيها: «اعتزال معابد الجاهلية، واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تحس فيها بالاعتزال عن المجتمع الجاهلي» كما في ظلال القرآن (٣/ ١٨١٦) فحتى المساجد سماها معابد جاهلية! وهذا إرهاب فكري خطير وأن من اقتنع بما اقتضاه هذا الفكر وقرره صاحبه فإنه يرهب من مخالفته رهبة شديدة

فيرضى به ويسلم، وبالتالي يحارب كل من يخالف هذا المعتقد.

٤- أن سيد قطب لا يعتبر أي قيمة لمن يخالف فكره حتى ولو كان المخالف صحابياً من أصحاب رسول الله ﷺ، فيقول في كتابه: «كتب وشخصيات» (ص ٢٤٢) في حق معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما: «إن معاوية وعمراً لم يغلبا علياً لأنها أعرف منه...؛ ولكن لأنها طليقان في استخدام كل سلاح، وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل الصراع، وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة، وشراء الذمم، لا يملك علي أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل فلا عجب أن ينجح ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نجاح». اهـ.

فإذا لم يتورع عن سب هذين الصحابين الجليلين ورميها بالعظائم التي ذكرها فكيف يتورع عمن دون ذلك من الناس؟! وهذه الطريقة في الذم والسب للمخالف، واتهام النيات يتبعها التكفيريون اليوم، ويطلقونها على مخالفهم مهما كان عليه مخالفهم من تقوى وورع واستقامة على الدين الصحيح.

٥- ونتيجة لما تقدم، فإن سيد قطب وضع خطة للاغتيالات ونسف المنشآت كما في كتابه «لماذا أعدموني» (ص ٥٥) فبعد كلام طويل يقول: «وهذه الأعمال هي الرد فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم بإزالة رءوس في مقدمتها رئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء، ومدير مكتب المشير، ومدير المخابرات، ومدير البوليس الحربي، ثم نسف المنشآت التي تشل حركة مواصلات القاهرة لضمان عدم تتبع بقية الإخوان فيها وفي خارجها كمحطة الكهرباء والكباري...».

فأولاً إرهاب فكري؛ ثم ثانياً تلاه إرهاب حسي؛ مما يدل دلالة واضحة أن بعض كتب سيد قطب قد وضعت الأساس للفكر الخارجي الإرهابي التدميري في هذا العصر؛ وإنها خلاصة لما كان يعتقد الخوارج قديماً، وما لم يتنبه لهذا الفكر الخطير المبثوث في كتب هذا الرجل واتباعه فإن عواقبه على المسلمين ستكون وخيمة.

وما التفجيرات الأخيرة التي حصلت في أمريكا -إن كان المتسبب في ذلك ممن ينتسب للمسلمين- إلا نتيجة للتأثر بمثل هذا الفكر.

والمقصود هو التنبيه على هذا الخطر الكامن في كتب سيد، وهو قد أفضى إلى ربه ﷻ، لكن فكره ما زال يث بين ظهرائي المسلمين، وكتبه تطبع عشرات الطبعات، وبكميات هائلة دون التحذير مما تضمنته هذه الكتب من مخالفة للعقيدة الصحيحة وللإسلام الحق الذي هو براء من الإرهاب وأهله.

ثم إنه قد كانت هناك كتابات طيبة من جمع من أهل العلم فيها التحذير مما في كتب سيد قطب، وبعض الكتب المماثلة لها، مثل: ما كتبه الشيخ العلامة عبد الله بن محمد الدويش - رحمه الله -، وما كتبه الشيخ زيد بن محمد المدخلي في كتابه: «الإرهاب وأثره على الأفراد والأمم»، وبعض الفتاوى للشيخ العلامة عبد العزيز ابن باز - رحمه الله - في كلام سيد قطب عن موسى عليه السلام، وفي كلام سيد عن الاستواء، وفي كلام سيد على معاوية وعمر وحياته عنها.

وقال الشيخ العلامة محمد بن عثيمين - رحمه الله -: «وأما

تفسير سيد قطب - رحمه الله - ففيه طوام».

وقال الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه: «أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة» (ص ١١٠): «في هذه المرحلة ظهرت كتب سيد قطب التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره، والتي تنضح بتكفير المجتمع، وتأجيل الدعوة إلى النظام الإسلامي والسخرية بفكرة تجديد الفقه وتطويره وإحياء الاجتهاد، وتدعو إلى العزلة الشعورية عن المجتمع، وقطع العلاقة مع الآخرين، وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة».

وقال الشيخ العلامة صالح الفوزان في أحد أشرطة لما سئل عن المقارنة بين الإمام أحمد، وسيد قطب، قال: «الإمام أحمد عالم وحبر يعرف الأدلة، وطرق الاستدلال، وسيد قطب جاهل ما عنده علم، ولا عنده معرفة، ولا عنده أدلة على ما يقول، فالتسوية بين الإمام أحمد وسيد قطب ظلم».

وهناك كتابان ألفهما صاحب الفضيلة الدكتور ربيع بن هادي المدخلي أحدهما بعنوان: «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب»، والثاني: «مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ». وهما

أجمع ما ألف حتى الآن عن المؤاخذات التي أخذت على سيد قطب مع بيان خطورتها، وبيان أن الجماعات الحزبية المتطرفة في العالم الإسلامي إنما هي نتيجة لفكر سيد قطب وأمثاله.

وإن الخطورة العظيمة تكمن في كون المتأثرين بفكر سيد قطب الخارجي (التكفيري) يصفون عليه حالة إعلامية، ويصفون هذا الفكر بأنه فكر أهل السنة والجماعة كما هو واضح في كتابات وطروحات محمد قطب، ومحمد سرور زين العابدين، وعبد الرحمن عبد الخالق، وصلاح الصاوي، ومحمد بن أحمد الراشد وغيرهم.

وهذه الكتابات والأطروحات لا تخلو من مغالطة وتضليل حيث صاغوا أفكار سيد قطب، بأساليب متنوعة وقوالب مختلفة، وأظهروا في بعض كتاباتهم أن سيد قطب يخالف فكر جماعة الإخوان المسلمين، حيث إن جماعة الإخوان المسلمين تضم تحت لوائها كل من ينتسب للإسلام بغض النظر عن معتقده صوفي، معتزلي، قبوري، أشعري، رافضي، وأن نهج جماعة الإخوان قابل ومتسع للجميع.

وعند هذه الجماعة قصور في فهم العقيدة الصحيحة، وزعموا -أعني: المتأثرين بفكر سيد قطب- أن فكر سيد ومعتقده مخالف لجماعة الإخوان المسلمين، وموافق لفكر أهل السنة والجماعة.

وأيدوا ذلك ببعض ما كتبه في باب الأسماء والصفات، وفي بعض أبواب العبادة، وفي ردهم على المتصوفة، وأنهم موافقون لمنهج الإمام محمد بن عبد الوهاب، وهذا الذي ذكره لا يخلو من التليس والمغالطة، فبعض ما قالوه حق لكن أكثره باطل، فصحيح أن فكر جماعة الإخوان المسلمين متسع وقابل لكل من يتسبب للإسلام، بغض النظر عن معتقده، وهذا قصور في فهمهم، وتطبيقهم للعقيدة الصحيحة. لكن سيد قطب لما خالف جماعته -جماعة الإخوان المسلمين- في بعض هذه الأمور، وافق الخوارج في أبرز معتقدهم وهو التكفير؛ تكفير المسلم بالمعصية، وعدم اعتبار طاعة ولي الأمر، كما تقدم في النقل عن كتبه، فهو قد ترك بعض الخطأ الموجود عند جماعة الإخوان، وانتقل إلى خطأ أكبر منه وهو التكفير.

ثم إن هؤلاء المتأثرين بفكر سيد قطب قد وافقوا سيد قطب فيما أخطأ فيه، وهو التكفير، ووافقوا الإمام محمد بن عبد الوهاب في بعض أبواب العقيدة لاسيما في باب الأسماء والصفات، وفي بعض أبواب العبادة ولذلك صدرت منهم بعض الردود على المتصوفة فوصفهم المتصوفة هناك بأنهم **(وهاية)**.

والأخطر من كل ما تقدم أن المتأثرين بفكر سيد قطب من أبناء هذه البلاد -المملكة العربية السعودية -حرسها الله- أضفوا على فكر سيد وأتباعه بأنه فكرٌ سلفي وصاروا يصمون كل من يرد على سيد قطب أو على أخطاء متبعيه، صاروا يتهمونه بالعمالة للحكام وبالمداهنة، وبالطعن في الدعاة وغير ذلك **(إرهاب فكري)**؛ بل صاروا يصفون بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة، والمبينة على فكر سيد قطب المبني على فكر الخوارج مثل جماعة الجهاد، والجماعة الإسلامية بمصر، والجماعة الإسلامية بباكستان، والجماعة الإسلامية المسلحة بالجزائر، وغيرها بأنها سلفية.

بل إن بعض الكتّاب قد تأثروا بهذا الطرح، حتى إن

بعضهم ذكر أن القاسم المشترك للجماعات الجهادية - هكذا قال: جهادية، وإلا فهي جماعات متطرفة وليست جهادية - قال: إن القاسم المشترك بينها هو الفكر السلفي؛ وإن مصطلح الوهابية يساوي السلفية، فكل هذه الجماعات بينها قاسم مشترك هو السلفية؛ وأن الخلاف بين هذه الجماعات في التطبيق لا في الفكر.

وهذا من أكبر الأخطاء التي وقع فيها هؤلاء، ففيما قالوه كذب وخلط وتليس، **فالسلفية الحققة تعني: من كان متبعاً للكتاب والسنة على وفق فهم سلف الأمة من أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان،** وهي بمعنى أهل السنة والجماعة، وهي الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وهي التي تمثل الإسلام الحق الذي جاء به النبي ﷺ، وسار عليه أصحابه.

ثم الإمام محمد بن عبد الوهاب، وأئمة الدعوة من بعده إنما هم مجددون لحقيقة الدين الذي جاء به النبي ﷺ؛ فهم على المعتقد السلفي الصحيح، وأما تلك الجماعات، فهي وإن ادعت السلفية أو أدّعي أنها سلفية، أو وهابية هي في الحقيقة على الفكر الخارجي

التكفيري البدعي المخالف للإسلام الحق، وأن مثل هذا الخلط والتلبس قد يكون هو الذي جعل أمثال الكاتب الأمريكي ستيفن سكورات يكتب في صحيفة تلي غراف في ٢٣ ديسمبر عام ٢٠٠١م مقالة بعنوان «المسألة كلها بدأت في العربية السعودية» عندما طرح سؤالاً عن سبب الأحداث في أمريكا، ووصف العنف الذي وقع في بعض أقطار العالم ابتداءً من مصر ثم الجزائر وانتهاءً بأحداث أمريكا الأخيرة، (بأن الوهابية هي التي كانت وراءه بفكرها)؛ لأنه كما ذكرت سابقاً أن الجماعات الإسلامية المتطرفة توصف من قبل المخالفين لها هناك في بلدانهم بأنها وهابية ويصفها بعض أبناء بلدنا بأنها سلفية؛ مما جعل الأمر يلتبس على الناس وتخفى عليهم الحقيقة.

وإن الحقيقة المرة هي أن بعض المدرسين والمدرسات وبعض أعضاء هيئة التدريس في الجامعات وبعض الدعاة وخطباء المساجد وغيرهم قد تسلل إليهم الفكر الخارجي التكفيري مع الأسف الشديد، وساروا يمدحون من يحمل هذا الفكر ويصفون

من يحملونه بالمعاني العظيمة مثل: الجهاد والدعوة وقادة الصحوة وغير ذلك.

وإن المملكة العربية السعودية -حرسها الله- تتعرض الآن لهجمة شرسة، من قِبَل أعداء الإسلام سواء من بعض الكفار أو من بعض المبتدعة (الخوارج).

وإنني أرى في هذا المقام -دفاعاً عن وطننا السعودية، وما

تحمله من عقيدة صحيحة تتمثل في الإسلام الحق-؛ أرى لمن يعنيه الأمر تشكيل لجنة على مستوى عالٍ من أهل العلم الموثوق بهم من أهل العقيدة الصحيحة والمنهج السليم، ومن أهل الخبرة والدراية، للنظر في المؤاخذات الخطيرة في كتب سيد قطب، ومن سار على منهجه والتي هي خلاصة للفكر الخارجي الإرهابي (نسبة لفرقة الخوارج) وكذلك تنظر في مناهج وأفكار الجماعات الحزبية الموجودة على الساحة الإسلامية، وتدرس أفكارها دراسة متأنية ودقيقة، وتنظر في مدى تأثير بعض أبناء هذه البلاد بأفكار تلك الجماعات، كما تقوم بمراجعة الكتب والمراجع الموجودة في

مكتبات المدارس والكليات والجامعات، والتي تحوي الكثير والكثير من الكتب التي تحمل فكر الخوارج، لكن بعبارات قد لا يتنبه لها، وقد يكون من المناسب أن يشارك في اللجنة المقترحة وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ووزارة التعليم العالي، ووزارة المعارف، والرئاسة العامة لتعليم البنات؛ نظرًا لخطورة الموضوع؛ ولكون هذه القطاعات قد أنيط بها مسؤولية العلم والفكر والدعوة.

وأن يكون ذلك تحت إشراف وزارة الداخلية، وأن تقوم اللجنة بما ذكر آنفًا لإعطاء صورة واضحة عن ذلك كله ليتسنى معرفته، ووضع الحلول المناسبة له، وفي الوقت نفسه إبراز حقيقة دين الإسلام الحق، وأن المملكة العربية السعودية تتمثله وتعمل به في جميع شؤون حياتها، وأنه ليس لأحد أن يزايد عليها في هذا الأمر؛ فلم يخدم أحد الإسلام مثلما خدمته المملكة العربية السعودية، وجعلت قيام كيائها العظيم معتمدًا على هذا الدين.

وأرى أنه من المناسب إيجاد قنوات إعلامية وغير إعلامية،

تكون بشتى اللغات الحية تبين حقيقة هذا الدين، وبُعدّه عن

الإرهاب والتطرف والغلو، وأن محاربة المملكة العربية السعودية للإرهاب وأهله ناتج عن عقيدتها كما ذكر ذلك صاحب السمو الملكي الأمير: نايف بن عبد العزيز -وزير الداخلية -حفظه الله-.

هذا ما أردت بيانه وإيضاحه مما يحتمه عليّ واجب النصيحة لله، ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

والله من وراء القصد.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٢)

رد على تعقيب الزهراني

لقد اطلعت على تعقيب الأخ طلال الزهراني المنشور بجريدة الوطن بتاريخ ١٠/١٠/١٤٢٢هـ. على مقالي المنشور بجريدة الوطن بتاريخ ١٩/٩/١٤٢٢هـ. عن فكر الخوارج الإرهابي، وقد ذكر طلال في تعقبه أنني تحدثت عن سيد قطب، ومن ذكر معه تبعاً للحرب الأمريكية ضد الإرهاب، وإنني أوافق أعداء الإسلام على ما يقومون به، ويصفون الإسلام بالإرهاب هكذا قال.

ثم قال: من حقنا أن نطالب بالإثبات.

ولي مع الأخ طلال بعض الوقفات:

* الوقفة الأولى :

١- أن الرد على المخالف للكتاب والسنة أصل متقرر عند أهل السنة والجماعة مهما كانت منزلة المردود عليه، وأن الرد على طائفة مسلمة، أو شخص مسلم فيما أخطئوا فيه ليس برد على الإسلام، أو اتهام للإسلام، ولذا حذر النبي ﷺ من الخوارج وأمر بقتلهم مع أنه ذكر صلاتهم، وصيامهم، وقيامهم، وقراءتهم للقرآن، فهل يقال بأن الإسلام يأمر بالقتل والإرهاب؟!

٢- أن فكر سيد قطب، وبعض من ذكر معه قد رد عليه أكابر علماء الإسلام في عصرهم، ومنهم ابن باز وابن عثيمين والألباني -رحمهم الله-، والفوزان، والمدخلي وغيرهم، فهل يقال بأنهم إنما فعلوا ذلك تبعاً لأمرىكا، وأنهم يوافقون أعداء الإسلام على ما يقومون به، ويصفون الإسلام بالإرهاب.

٣- قال الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه أولويات الحركة الإسلامية (ص ١١٠): «بأن كتبه -أي: سيد- تنضح بتكفير المجتمع، وقطع العلاقة مع الآخرين، وإعلان الجهاد على الناس كافة».

والقرضاوي يعرف جماعة الإخوان جيداً، وقد شهد على سيد بهذه الشهادة فماذا تسمي ذلك؟!

* الوقفة الثانية:

أن من حقل المطالبة بإثبات أن فكر سيد يوافق فكر الخوارج، وأنا أذكر لك بعض ذلك مختصراً من كتبه، وكنت ذكرته ضمن مقالي السابق؛ ولكن المساحة المخصصة للنشر لم تتسع لذلك:

١- قال سيد قطب في كتابه العدالة الاجتماعية (ص ٢٣٤) عن خلافة عثمان رضي الله عنه بأنها فجوة بين خلافة عمر وعلي رضي الله عنهما.

٢- قال في كتابه المذكور (ص ٢١٦) عن ثورة الخوارج الذين ثاروا على الخليفة عثمان وقتلوه بأنها كانت نابعة من روح الإسلام، فإذا لم يكن هذا رأي الخوارج فماذا يكون؟!

٣- قال في كتابه الظلال (٢٢١٢/٤) بعد كلام كثير يتضمن تكفير الأمة قاطبة: «إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة، ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه شريعة الله...».

فإذا لم يكن هذا إرهاباً فكرياً فماذا يكون؟!

٤- أنه وصف الصحابين الجليلين معاوية وعمر بن العاص رضي الله عنهما بالكذب والغش والخداع والنفاق وشراء الذمم. انظر كتابه: «كتب وشخصيات» (ص ٢٤٢).

فأين الغيرة يا طلال على شرع الله، وأين المحبة لأصحاب

رسول الله ﷺ؟!

٥- أنه وضع خطة للاغتيالات، ونسف المنشآت، وتدمير محطات الكهرباء، وقتل رئيس الجمهورية، ورئيس الحكومة ... إلخ كما في كتابه «لماذا أعدموني» (ص ٥٥).

كل ذلك في بلد مسلم، فإذا لم يكن هذا رأي الخوارج فماذا

يكون، وإذا لم يكن هذا إرهاباً فماذا يكون؟!

* الوقفة الثالثة :

أقول للأخ طلال: كيف اهتمتني بما ذكرت وأنت لن تستطيع أن تجد كلمة واحدة، أو حرفاً واحداً في مقالي السابق يؤيد ما ادعيت؟! كيف وقد قلت في مقالي: إن الإسلام بريء من الإرهاب والغلو والتطرف؟!!

ويا أخ طلال لقد ابتلي المسلمون بأناس هم على فكر الخوارج أحدثوا بلايا ورزايا للمسلمين، وباسم الدين، وباسم الجهاد، وهي ليست من الدين، ولا من الجهاد، وكانوا سبباً لأن يحقق الكفار عن طريقهم بعض مآربهم في ديار المسلمين، شعروا بذلك أو لم يشعروا، وإن الكفار مهما تنازل المسلم لهم فلن يرضوا بذلك حتى يتبعهم كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

لكن الواجب التعامل معهم وفق الضوابط الشرعية، والنظر إلى القاعدة العظيمة: «درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة» وعداؤنا

للكفار لا يجعلنا نسكت عن أخطاء المبتدعة، وتركهم يفسدون الدين باسم الدين، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :
«أن الراد على أهل البدع مجاهد».



(٣)

افتراءات على الدعوة السلفية

لقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ رحمة للناس: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وجعل أمته أمة وسطاً: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. أي: عدولاً لا يميلون عن الحق، لا إلى غلو ولا إلى جفاء، بل يتوسطون ويعتدلون، إذ إن دين الإسلام قد نهى عن الغلو والجفاء، وأمر بالتوسط والاعتدال في الأمور كلها، وإن خير من يمثل الوسطية في الأقوال والأعمال والمعتقدات الوسطية التي جاء بها الإسلام هم أهل السنة والجماعة الذين تمثلوا الإسلام في جميع أمورهم

اقتداءً بالنبي ﷺ وخلفائه الراشدين، اتباعاً للكتاب والسنة، وفق فهم سلف الأمة.

فهم أولى الناس دخولاً في هذه الوسطية، وإن كل معنى من معاني الوسطية ثبت لهذه الأمة فلاهل السنة والجماعة منه الحظ الأوفى والنصيب الأوفر، وما ذاك إلا لأنهم الأنموذج الأمثل للأمة التي حققت المتابعة المحضة لكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، بخلاف غيرهم من فرق وطوائف الأمة، فإنه ما من فرقة، ولا طائفة منها إلا ولها من الأقوال والاعتقادات ما يخالف كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «لذلك كان أهل السنة خير فرق هذه الأمة، وأوسط طوائفها، ومن مسمياتهم: «أهل السنة والجماعة»، و«الفرقة الناجية»، و«الطائفة المنصورة»، و«أهل الحديث والأثر»، و«السلفية».

وكل هذه المسميات لها سبب، ولها مستند شرعي ولا يتسع المقال لبسط ذلك، وبعد وجود الفرق وحصول الافتراق أصبح مدلول السلف يطلق على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج

طبقاً لفهم الصحابة والقرون المفضلة، ويكون هذا المصطلح «السلف» مرادفاً للأسماء الشرعية الأخرى لأهل السنة والجماعة».

والدعوة إلى اتباع السلف، أو الدعوة السلفية؛ إنما هي دعوة

إلى الإسلام الحق، وإلى السنة المحضة، ودعوة إلى العودة إلى الإسلام كما أنزل على النبي ﷺ، وتلقاه عنه أصحابه الكرام، ولا شك أن هذه الدعوة دعوة حق، والانتساب إليها حق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا عيب على من أظهر مذهب

السلف، وانتسب إليه واعتزى إليه؛ بل يجب قبول ذلك منه، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً». مجموع الفتاوى (٢٤٩/٤).

وقد أطلت في بيان هذا الأمر؛ لأننا نسمع ونقرأ من يطعن

في السلفية، والتسمي بها، أو يدعي أنها حزبية، أو أنه لا فرق بينها وبين الجماعات الحزبية المعاصرة.

وقد يقول البعض إن مؤسس السلفية هو الإمام محمد بن

عبد الوهاب -رحمه الله-، والحقيقة أن الإمام محمد بن عبد الوهاب

إنما هو داعية من دعاة السلف، ومجدد من مجدديها، أحيا معالمها

بعد دروسها، وأعادها نقية صافية في هذه الجزيرة بعدما تكدر صفوها، وطغت عليها البدع والخرافات.

بل إن هذه الدولة المباركة -المملكة العربية السعودية -حرسها الله - دولة سلفية، ودعوتها دعوة سلفية، كما نص على ذلك مؤسسها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود -طيب الله ثراه -.

حيث قال في خطابه الذي ألقاه في حج عام ١٣٦٥هـ: «إني

رجل سلفي، وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها على الكتاب والسنة».

وقال في الخطاب نفسه: «يقولون إننا وهابية، والحقيقة أنا

سلفيون محافظون على ديننا، ونتبع كتاب الله وسنة رسوله، وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنة رسوله». المصحف والسيف (ص ١٣٥-١٣٦).

فالمملكة قامت على الإسلام الحق المبني على كتاب الله، وسنة رسوله، وفق فهم سلف الأمة، ولذا اتسمت سياستها بالحكمة، والاعتدال، والتسامح مع المذاهب الفقهية المعتمدة

الموافقة للكتاب والسنة؛ ولذا يدرس طلاب كليات الشريعة بالمملكة فقه الأئمة الأربعة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد؛ لأن الخلاف بين هذه المذاهب ليس في العقيدة؛ وإنما هو في الفروع الفقهية.

يقول الملك عبد العزيز: «... والذي نمشي عليه هو طريق السلف الصالح، ولا نؤيد بعض المذاهب على بعضها، فأبو حنيفة، والشافعي، ومالك، وابن حنبل أئمتنا». اهـ. كلامه - رحمه الله -. وهو كلام نفيس يمثل المعنى الصحيح للسلفية، الذي هو المعنى الصحيح للإسلام.

وفي هذه الآونة يتعرض الإسلام عمومًا؛ والمملكة العربية السعودية، والدعوة السلفية خصوصًا إلى ظلم وافتراء وتشويه وقلب للحقائق من قبل بعض الساسة، والكتّاب الغربيين المعادين للإسلام، والذين تقف الصهيونية وراءهم، وما ذلك إلا عداًء للإسلام؛ ولكون المملكة العربية السعودية تطبقه، وتدافع عنه، وتحمل رايته.

ومع أن الدعوة السلفية هي أبعد ما تكون عن التكفير والتبديع والتفسيق للناس بغير دليل، وهي أبعد ما تكون عن الغلو والتطرف والإرهاب، إلا أن هذه الدعوة المباركة ألصق بها ما ليس فيها، ونسب إليها من ليس على منهاجها مما شوه جلالها، وغير حقيقتها، ونفّر منها وزهد فيها.

وإن من أبرز العوامل التي كانت سبباً في ذلك: الجماعات الحزبية الإسلامية الغالية - من الغلو - المتأثرة بفكر الخوارج؛ لكون بعض رموز وقادة ومفكري هذه الجماعات قد وافق المنهج السلفي في بعض الطروحات والتوجهات، مع أنه يخالفه في العقيدة والمنهج مما جعل الأمر يلتبس على كثير من الناس الذين قد تخفى عليهم الحقيقة ظناً منهم أن هذه الجماعات سلفية، أو أنها على الفكر الوهابي، كما يحلو للبعض تسميتها بذلك.

وإنك لتعجب ممن يسمي هذه الجماعات بالجهادية والسلفية، وكيف تكون جهادية، والمعنى الشرعي الصحيح للجهاد منتف عن هذه الجماعات، ولم تتوفر فيها شروطه الصحيحة؟!!

وكيف تكون سلفية، وهي مخالفة لها في جوانب من العقيدة والمنهج، وإن العبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمسميات؟! وقد استغل أعداء الإسلام ذلك لضرب الإسلام، وإصاقتهم الإرهاب بالإسلام وأهله.

وإن من أهم ما يجب التنبيه له اليوم: الخلط الموجود في الساحة الإسلامية، والعمل على تصفية الإسلام مما ألصق به مما هو ليس منه، وتربية النشء المسلم على الإسلام الحق الصافي المستقى من النبع الصافي - كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفق فهم سلف الأمة - والذود عن هذا الدين، وإظهاره بالمظهر اللائق به.



(٤) قراءة في فكر الجماعات الإسلامية ... إلى متى والبعض يخدع؟ - ١ -

إن الدعوة السلفية بمعناها الصحيح لا تخالف الكتاب والسنة؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم».

وقال: «ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

فدلّ هذان الحديثان على وجود الافتراق والانقسام، وأن النجاة إنما تكون لمن وافق هدي النبي ﷺ وأصحابه - وهم السلف الصالح - والسلف، ومن سار على منهاجهم ما زالوا يميزون

السلف عن غيرهم من المبتدعة والفرق الضالة ويسمونهم «أهل السنة والجماعة، وأتباع السلف»، وكتبهم مملوءة بذلك، حيث يردون على الفرق المخالفة للحق، ومن ينكر ذلك فهو منكر للواقع، ومخالف لما أخبر به النبي ﷺ بوجود الانقسام والافتراق، وأنه لا يبقى على الحق إلا واحدة.

والنبي ﷺ قد أمرنا باتباع السلف الصالح، فقال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي...».

والله قد رضي عنهم، وأثنى عليهم وعلى من اتبعهم، فقال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فالسلف لم يختلفوا في مسائل العقيدة والإيمان، وهم على عقيدة واحدة، منذ بزوغ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، وإن اختلفوا في المسائل الفرعية الاجتهادية.

إذا تقرر هذا فإن السلفية الصحيحة لا تقبل المناقشة؛ لأنها

تمثل الإسلام بمعناها الصحيح عقيدةً وعبادةً، وحكمًا، وسلوكًا، ومعاملةً، دينًا، ودنياً، وإنما الذي يقبل المناقشة هو المخالف لمنهج السلف، وإن ادعى السلفية، أو غيرها من المسميات.

وقد أشرت في مقال سابق نشر بجريدة الوطن العدد (٨٢٢) إلى السبب الذي جعل بعض الكتّاب والمفكرين الغربيين يهاجمون الإسلام عمومًا، والسعودية، والدعوة السلفية الصحيحة خصوصًا، وذكرت في المقال نفسه أن ممن أثر على الدعوة الصحيحة الجماعات الحزبية المتأثرة بفكر الخوارج لاسيما من ادعى السلفية، وهو ليس كذلك، أو أراد الجمع بين الفرق المبتدعة القديمة، ومن هذه الجماعات الإخوان المسلمون وما تولد منها، وتفرع عنها من جماعات.

فقد كان لها تأثير سلبي على الدعوة الصحيحة في كثير من البلدان، وقد تأثر بعض أبناء هذه البلاد -حرسها الله- بأفكار هذه الجماعات لذا فإنني أرى أن واجب النصيحة يقتضي بيان خطر هذه الجماعة، وذكر بعض مسالك أصحابها لتجنبها، فإن معرفة الداء سبيل لمعرفة الدواء.

وإنه من خلال استقراي للكثير مما كتب عن هذه الجماعة من مؤيديها ومعارضيهما قدحًا ومدحًا، تبين لي أنها مرت بثلاث توجهات، وأن التوجهين الثاني والثالث كانا نتيجة للتوجه الأول، وأن كلاً منهما لم يبلغ التوجه الذي قبله.

فأما التوجه الأول: فاتسم بجمع أكبر عدد ممكن من الأتباع من الأفراد والجماعات، والطوائف المنتسبة للإسلام بغض النظر عن عقائدها ومناهجها وفق القاعدة المشهورة عند هذه الجماعة: «نجتمع على ما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

ولم يقيدوا ما يعذر فيه بكونه في الفروع، دون الأصول والعقائد، لم يقيدوه لا في مؤلفاتهم ولا في واقعهم العملي مما أدى بقيادة هذه الجماعة إلى ترك الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، وترك التحذير مما يضادها، وإلى ترك الدعوة إلى السنة، ومن باب أولى ترك التحذير من البدعة مما أدى إلى قبول فكر جميع الطوائف التي حذر منها أئمة الإسلام؛ بل نادوا إلى التقريب بين الأديان.

إذن يصح أن يطلق على دعوة هذه الجماعة أنها إلى السياسة أقرب

منها إلى الدين، وإنما أصبح الدين غطاء لها أمام الشعوب، وهذا التوجه - أعني التوجه الأول - قاده المؤسس حسن البنا - رحمه الله - وتبعه في ذلك من يسمون مرشدي الجماعة الذين جاءوا من بعده التلمساني، الهضيبي....

وأبرز إفرازات هذا التوجه هو هدم القاعدة الشرعية الولاء والبراء في الإسلام، وأنه يقود إلى عقائد غلاة المرجئة، الذين يرون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، ومن المعلوم أن الاختلاف في الأصول والعقائد موجب للانقسام والتفرق فهو اختلاف مفارقة الحق عن الباطل وهو محمود.

وأما الاختلاف في الفروع فلا يوجب تفرقاً، ولا يترتب عليه لوم من أحد، ولا من جانب إلى جانب إذ قد حصل مثله في زمن النبي ﷺ فلم يوجب لوماً ولا تعنيفاً.

وأما التوجه الثاني: فإنه برز بعد انضمام سيد قطب لجماعة الإخوان المسلمين فإنه أحدث بفكره المتطرف انقلاباً في هذه الجماعة وتفرقاً، إذ صرح سيد في بعض مؤلفاته بتكفير المسلمين أفراداً

وجماعات حكامًا ومحكومين، فكل من لم يوافق على فهمه للإسلام فيعتبر جاهلاً وخارجاً من دائرة الإسلام، وإن نطق بالشهادتين وصلى وصام، وأحدث بفكره خروجاً على حقيقة الدين، إضافة إلى مناداته بالخروج على الأنظمة الإسلامية القائمة قاطبة.

وقد طبق أفكاره هذه جماعة التكفير والهجرة، والحركات الإسلامية الأخرى التي حملت السلاح في البلدان الإسلامية ضد حكامها وشعوبها باسم الجهاد.

ومن المعلوم أن كتب سيد قطب فيها الكثير من المخالفات العقدية والمنهجية، وذلك نتيجة حتمية؛ لكونه تكلم في أمور العقيدة والدين بغير علم شرعي صحيح، ومن غير فقه، فهو ليس من علماء الشريعة، ولا من فقهاءها؛ وإنما عنده غيرة وحماس ديني.

وهذا وحده لا يكفي، وقد رد عليه كثير من العلماء في أخطائه العقدية والمنهجية، وقد قال الشيخ الألباني: «ومنه يتبين لكل قارئ على شيء من الثقافة الإسلامية أن قطباً لم يكن على معرفة بالإسلام أصوله وفروعه» اهـ.

لكن أتباع سيد نسجوا حوله هالة إعلامية هائلة فكل من ينتقده ولو بحق فإنه يتهم على الإسلام من قبلهم «إرهاب فكري» وهذا التوجه - أعني التوجه الثاني - كان نتيجة للتوجه الذي قبله التوجه التجميعي الذي لا يمانع من دخول أي فكر بحجة جمع المسلمين.

أما التوجه الثالث: فقد برز في العقدين الماضيين نتيجة للانتقاد الذي وجه لمنهج الإخوان التجميعي، وللانتقاد الذي وجه إلى مؤلفات سيد قطب بكونها تحمل سمة الفكر التكفيري، فقام أصحاب هذا التوجه بتهذيب أفكار سيد تهذيباً شكلياً في أغلبه دون مضمونه.

وهذا التوجه تم طرحه على أنه فكر ومنهج أهل السنة والجماعة، وهذا الطرح تمثله كتابات محمد قطب، وصلاح الصاوي، ومحمد أحمد الراشد - اسم حركي -، ومحمد سرور بن نايف زين العابدين - سوري مقيم في لندن -، إخواني المنهج - نسبة للإخوان المسلمين -، قطبي التوجه نسبة لسيد قطب.

وهذا التوجه الثالث هو الأخطر والأكثر تنظيمًا وأتباعًا،
والأكثر جمعًا للأموال، وقد استطاع أصحابه السيطرة على معظم
المراكز الإسلامية في أوروبا، وأمريكا، وآسيا، وإفريقيا.

ولما يعلمه أصحاب هذا التوجه أن أهل هذه البلاد السعودية
أهل خير وفطرة سليمة ونية صافية ومحبة صادقة لمن شاكلهم،
وسار على الحق، وتمسك بالكتاب والسنة، وسار على طريق الأئمة
من الصحابة، والتابعين، والأئمة المرضيين، تزلف هؤلاء إليهم
طالبين العون والمساعدة المادية والمعنوية مظهرين الموافقة لهم،
فحصل لهم ما طلبوا وما قصدوا، فاستغلوا تلك الطيبة والفطرة
السليمة، والخصال النبيلة لتمرير مآربهم، وتحقيق مقاصدهم،
فأنشئوا مراكز مختلفة وجمعيات متنوعة وظفوا فيها من يخدم هذا
التوجه، فتحول الكثير من أتباع هذه المراكز والجمعيات إلى أعداء
سافرين لهذه البلاد وعلمائها المخلصين، وبأموال بعض المحسنين
من أبناء هذه البلاد.

وقد عرف محمد سرور كيف يستغل بعض أبناء هذه البلاد

بحكم كونه قد درّس فيها فترة طويلة، وعرف أنها لا تقبل بغير السلفية، ولذا ألف بعض المؤلفات التي ترد على الرافضة، وعلى الصوفية؛ بل وعلى الإخوان المسلمين، وفق المنهج التجميعي.

وزعم موافقته في العقيدة لبعض أئمة الإسلام كشيخ الإسلام ابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، وأئمة الدعوة، ودرّس بعض مؤلفاتهم وأوصى بتدريسها في بعض المراكز التي تحت إشرافه، وهو في الحقيقة، وإن أظهر موافقته لهؤلاء الأئمة الأعلام لاسيما في بعض الأبواب العقدية إلا أنه يخالفهم جميعاً، ويخالف من قبلهم من أئمة الإسلام لاسيما في تكفير الحاكم المسلم، وتكفير مرتكب الكبيرة.

فهو على فكر سيد قطب المبني على فكر الخوارج، وإنما أراد خداع أبناء هذه البلاد، وقد نجح بهذا المكر والدهاء في صيد أحداث الأسنان، وضعاف العلم، وقليلي المعرفة والخبرة بخبايا القوم، ولتمرير مخططه هو ومن على شاكلته قام بالحصول على تزيكات من علماء كبار من أجل دفع الأموال من الزكوات والصدقات

والتبرعات «الجماعة المتدى» في بريطانيا، والتي كان أحد مؤسسيها بحجة دعوته إلى عقيدة أهل السنة والجماعة على المنهج السلفي في مواجهة المبتدعة.

وهذا الرجل -أعني: محمد بن سرور- قد بلغ به اللؤم غايته والحق والحسد نهايته، فبدلاً من أن يشكر هذه البلاد التي أكرمتها واحتضنته عندما طرد من بلده كفرّ ولايتها وعلماءها، إضافة إلى تكفيره لجميع ولاية المسلمين المعاصرين بلا استثناء، ويضيف إليهم في التكفير العلماء الذين يعينهم ولي الأمر، ومجلته المسماة بالسنة هي خير شاهد على تطرفه وغلوه وبعده عن الحق والعدل والإنصاف، وهو يخطط لإلحاق الأذى بهذه البلاد وعلمائها وبث الفرقة بين أبنائها.

وأنا أرى أن أسامة بن لادن، ومن غرر به من أبناء هذه البلاد في تنظيم القاعدة إنما هم منفذون لأفكار هذا الرجل، وإنهم ممن خدع به، وإن بعض أتباعه ما يزالون يسعون لتنفيذ أفكاره ومخططاته، وهو يسعى جاهداً ليقوموا بالدور نيابة عنه، وهو

يستعين بريطانيا لتحميه، وبريطانيا تستعين به لتفريق المسلمين،
وتمزيق كلمتهم، فهل نعي حقيقة ما يخطط له الأعداء الحاقدون؟
وإلى متى والبعض يخدع ويخدع؟؟؟
والله من وراء القصد وللحديث بقية ...



قراءة في فكر الجماعات الإسلامية...

إلى متى والبعض يخدع؟ - ٢ -

التطرف والغلو معناهما واحد: وهو مجاوزة الحد والقدر المشروع إلى ما ليس بمشروع، ويقع من الأفراد والجماعات والدول، ومن مختلف الأديان والملل والنحل، فعدم التوسط والاعتدال في الأمر يعتبر من الغلو والتطرف سواء كان ذلك في الدين، أو الجحود والإلحاد، فليس الغلو محصوراً على الغلاة في الدين؛ بل كل من خرج عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال، سواء ضلال بدع، أو خروج عن الدين بأكمله، فالغلو والتطرف درجات، ويقع من المتدينين، وغير المتدينين، إلا أنه يقبح من المتدينين أكثر من غيرهم، وخطره أشد لأنه يُلبس بلباس الدين، والدين منه براء ...

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾

[المائدة: ٧٧].

وقال ﷺ: «إياكم والغلو». وقد وقع في الغلو قلة من بعض المنتسبين للدعوة في بلادنا، سواء كان بقصد أم بغير قصد، وقد ظهرت بعض معالم هذا الغلو في أزمة الخليج الثانية، ولم يكن سبب وقوعه العقيدة الإسلامية إذ إن العقيدة الصحيحة تحاربه كما تقدم في النصين - الآية والحديث - ولم يكن سببه المناهج، والمقررات الدينية التي تدرس في بلادنا من الابتدائية وحتى الدراسات العليا، إذ إنها - أعني مناهج ومقررات المواد الشرعية - قد انتقت بعناية من قبل علماء أفاضل ومربين متمرسين على ضوء الكتاب والسنة وفق منهج السلف الصالح، بعيدة عن الغلو والتطرف، وإنما السبب في ذلك من وجهة نظري يعود إلى فكر وارد مستورد من خارج بلادنا ومخالف لعقيدة السلف التي سارت عليها بلادنا وطبقها علمائنا، كمثّل أفكار جماعة الإخوان المسلمين عمومًا، وأفكار سيد قطب، ومحمد سرور التكفيرية على وجه الخصوص، وكل

من درس في المعاهد الدينية قبل عشرين سنة - وأنا ممن درس فيها - يعرف ذلك وكيف كانت كتب القوم الداعية إلى الخروج والتكفير توزع على الطلاب لاسيما في الأنشطة اللامنهجية، ويحث الطلاب على اقتنائها؛ بل وتطبيق ما فيها، وكان يتولى التوزيع والحث على ذلك مدرسون وافدون يحملون الفكر نفسه، وللأسف إن هذا الدور يقوم به الآن بعض أبناء هذه البلاد، وقبل أن أشرع في ذكر بعض الأمثلة الدالة على الغلو، فإنني أقول وبكل تأكيد: إنني لا أعلم أحداً من علماء هذه البلاد لا من أعضاء هيئة كبار العلماء، ولا من غيرهم يجوز أن يوصف فكره بالتطرف والغلو.

وإنما وقع في ذلك - كما أسلفت - قلة من بعض المنتسبين للدعوة ممن أسموا أنفسهم الدعاة وهم في أغلبهم من صغار السن والمغرر بهم، تركت هذه القلة منهج علمائنا المبني على الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح واستبدلته بمناهج وافدة مخالفة للحق، ومن أمثلة التطرف والغلو الذي وقعوا فيه

بقصد أو بغير قصد:

١- انتقاصهم لعلماء هذه البلاد ووصفهم لهم بأنهم لا يعلمون فقه الواقع، وأن عليهم ضغوطات، وهذا وصف لهم بالجهل، وعدم الإخلاص مما جعل الثقة بالعلماء تهتز.

٢- انتقاصهم لولاية الأمر بذكر بعض ما قد يظن من أخطائهم على المنابر وبين العامة، وتأويلهم للأحاديث التي تأمر بطاعة ولي الأمر في المعروف، وتحرم الخروج عليه على أن المقصود بها الإمام الأعظم الذي هو خليفة لجميع المسلمين، وتركوا إجماع العلماء على أنه عند تعدد الأقطار الإسلامية يكون لولي الأمر في كل قطر يحكمه ما للإمام الأعظم من حقوق وما عليه من واجبات في القطر الذي هو فيه، وهذا التأويل للنصوص سهّل للعوام والجهلة الأخذ ببعض أسباب الخروج باللسان وغيره.

٣- قول بعضهم: إنه لا توجد للمسلمين اليوم مرجعية دينية، وهذا نتيجة للمثال الذي قبله، ثم إن هذا القول مع مخالفته لقول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين» مخالف

للواقع، فبلادنا السعودية - حرسها الله - فيها مرجعية دينية، وهي هيئة كبار العلماء - وهم كبار بحق -.

وكذلك توجد هيئات دينية أخرى في كثير من البلاد العربية والإسلامية، ومن الغريب العجيب أن قائل هذه المقالة يتولى الآن الإفتاء أسبوعياً في إحدى صحفنا، فهل اعتبر نفسه مرجعاً دينياً مع وجود سماحة المفتي وكبار العلماء؟!

٤- قول بعضهم: إن أفغانستان نواة للدولة الإسلامية، وقول بعضهم: إن السودان - في فترة الترابي - نواة للدولة الإسلامية .. فهل بقية البلدان الإسلامية، - ومنها بلد التوحيد والسنة - ليست إسلامية؟! وهل ثمة فرق بين هذا القول وبين قول سيد قطب: إنه لا توجد اليوم دولة إسلامية، وقوله: موقف الإسلام من هذه المجتمعات الجاهلة كلها يتحدد في عبارة واحدة أن يرفض الاعتراف بإسلامية هذه المجتمعات كلها «معالم في الطريق» (ص ١٠١ - ١٠٣).

٥- قول بعضهم إن المجاهر بالمعصية مستخف بها، والمستخف مستحل والمستحل كافر .. توليد لتكفير مرتكب المعصية بطريقة

عجيبة وغريبة.

٦- قول بعضهم إنه لا يعلم مهمة لرجال الأمن في البلاد العربية إلا ملاحقة الدعاة إلى الله ولم يستثن بلدًا من البلدان.

٧- قول بعضهم إن الذي يموت وفي بيته صحن لاقط -دش- لا يدخل اللجنة بناء على تحريفهم لفتوى أحد العلماء في تحريم الدش.

٨- الإشاعة بأن الإعلام عندنا في أيدي العلمانيين.

٩- وصفهم للمهرجانات التي تقام في بلادنا، ومنها مهرجان الجنادرية بأنها مأوى للعلمانيين.

١٠- تقليلهم من الاهتمام بالعقيدة الصحيحة، ومدحهم لرموز وقادة الجماعات الحزبية المنحرفة، فمن قائل بأن العقيدة تشرح في عشر دقائق، ومن قائل بأن لا إله إلا الله لم يفسرها أحد مثل تفسير سيد قطب، ومن مقارن بين سيد والإمام محمد بن عبد الوهاب، أو بين سيد والإمام أحمد بن حنبل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١١- عدم الإنصاف والعدل مع مخالفاتهم، ووصفهم بأقبح

الأوصاف، والتي قد تصل إلى التكفير أحياناً، فمن انتقدهم أو قدم لهم نصيحة من أجل تغيير مسارهم ورجوعهم إلى ما عليه علماء الحق رموه بالعظائم، فإن كان الناصح والناقد عالماً أو طالب علم قالوا عنه: إنه عميل جاسوس مDAHن، وأما إن كان كاتباً مثقفاً مفكراً قالوا بأنه علماني -أي كافر- وهذا إرهاب فكري.

هذه بعض الأمثلة، ولا يتسع المقال للاسترسال في ذلك، إلا أننا نرى الآن الطرح قد تغير لديهم في بعض الأمور، فمثلاً: * إصدارهم لبعض البيانات باسم المثقفين السعوديين ردّاً على بعض المثقفين الأمريكيان، وضمن قوائم الأسماء عدد من المثقفين الذين كانوا يرمونهم بالعلمانية.

* ظهورهم في الإعلام والصحف، والإذاعة، والتلفاز، بشكل مكثف، فقد اكتسحوا الصحف والمجلات -حتى الشعبية منها- بل وتسابقوا في الظهور في بعض الفضائيات التي لا يمكن مشاهدتها إلا بالدش، وقد علمت مما تقدم قولهم في مقتنيه.

* مشاركتهم في المهرجانات التي كانوا يصفونها بأنها مأوى

للعلمانيين، ومنها مهرجان الجنادرية.

* التظاهر بالتسامح، وإبداء المرونة في الطرح، وقبول رأي المخالف، إلا أن هذا التغيير يعكر عليه كثرة استعماهم للعموم والإجمال فيما يحتاج إلى التفصيل والبيان، لاسيما عندما يسألون عن بعض مواقفهم السابقة، إضافة إلى تلميعهم لبعضهم البعض، وإظهارهم لأنفسهم وكأنهم القائمون على الدعوة وحدهم دون غيرهم؛ بل إنه لما سئل أحد أتباعهم في مقابلة أجريت معه في مجلة تحمل الفكر نفسه وتصدر خارج البلاد..

* هذا السؤال: يقول البعض إن كثيرًا من المشايخ كانت مواقفهم شديدة؛ ولكن بعد المحن تراخت ...

قال: «ليس بصحيح، وأنا أعتبرها استراحة محارب».

فهل تراجع هؤلاء عما كانوا عليه، أم أنهم يخططون لشيء أكبر من ذلك، من إنشاء قنوات إعلامية خاصة بهم تلفزيونية وغيرها؟ وأن هذا تكتيك مرحلي لكسب أكبر عدد ممكن من الأتباع؛ لتكوين قاعدة جماهيرية وعلى طريقة الإخوان المسلمين من أن

الغاية تبرر الوسيلة .. ثم تأخير إبداء حقيقة الأمر حتى وجود قاعدة كبيرة تحمي الرموز والقادة؟

إنني أتمنى، وأدعو الله أن يرجعوا إلى الحق، وإلى ما عليه علمائنا ليتحد الصف وتقوى الكلمة، ونسد المنافذ على الأعداء المتربصين للإسلام والمسلمين، وباسم الدين.

وإن مقتضى الرجوع الصحيح يحتم عليهم المصارحة بالأخطاء التي وقعوا فيها، وأوقعوا فيها الكثير من الشباب في الجامعات وغيرها، ويحتم عليهم المناصحة لأتباعهم بمتهى الصراحة والوضوح.

وقد تكلمت بصراحة؛ لأنني أرى أن السكوت على الأخطاء أو تسكينها لا يحل المشكلة؛ وإنما يزيد من تفاقمها مستقبلاً، ونحن نرى اليوم كبر حجم المشكلة والخطر المتمثل في العداء المتزايد للإسلام والمسلمين من قبل أعداء هذا الدين؛ لكننا نغفل ونتغافل من أن أخطاء بعض المسلمين كانت سبباً في المشكلة جعل الأعداء يهتبلون ذلك ويعدونه فرصة سانحة لتحقيق بعض مآربهم في ديار المسلمين.

وكلي أمل في أن يقوم أهل العلم وأهل الحل والعقد والناصحون من أهل الفكر والأدب وحملة الأقلام في بلادنا بواجبهم، وأن يعالجوا الأمور وفق ما تقتضيه، وبمنتهى الصراحة والوضوح مع مراعاة المصلحة العامة قبل فوات الأوان وحصول التفرق والتمزق والتشرذم لا سمح الله.

وإننا في هذه البلاد السعودية -حرسها الله- ننعم والحمد لله بالإسلام والعمل به والدعوة إليه على هدي الكتاب، والسنة، ومنهج السلف الصالح، تحت ولاية إسلامية راشدة تحكم فينا بشرع الله، فلا يجوز لأحد من أبناء هذه البلاد أن يوجد حزباً، أو ينشئ جماعة، أو ينضم لجماعة مخالفة للمنهج الذي قامت عليه بلادنا وسار عليه علماءنا فيشق بذلك الطاعة، ويخالف الجماعة، ويكون سبباً للفرقة والاختلاف.

وإنني في هذا المقام أذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على الاتحادية -طائفة مبتدعة في زمنه- وهو يشمل ويتنظم جميع المبتدعة من أفراد وجماعات قديمة ومعاصرة ...

يقول - رحمه الله -: «ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم، أو ذب عنهم، أو أثنى عليهم، أو عظم كتبهم، أو عُرف بمساعدتهم ومعاونتهم، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدري ما هو؟ أو من قال: إنه ما صنف هذا الكتاب؟ وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل أو منافق؛ بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم، ولم يعاون على القيام عليهم، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات؛ لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشايخ والعلماء، والملوك، والأمراء، وهم يسعون في الأرض فسادًا، ويصدون عن سبيل الله». مجموع الفتاوى (١٣٢ / ٢).

والله من وراء القصد.



(٥)

شيء من فقه الجهاد في الإسلام

أخذ على اليمين الأمريكي المتطرف عدم تحديده لمفهوم الإرهاب تحديدًا دقيقًا وواضحًا بحيث تمكن معرفته وتجرىم فاعله أيًا كان، وفي أي مكان وجد؛ وإنما صار هناك انتقائية لمعنى الإرهاب، فما يسمونه إرهابًا من فرد أو جماعة، أو دولة، أو أهل ديانة لا يأخذ الحكم نفسه إذا وجد في مكان آخر.

وأصبح يتلاعب بهذه الكلمة «الإرهاب» وفق ما يروونه محققًا لمصالحهم بغض النظر عن الحقيقة والواقع، وبهذا خدموا الصهيونية العالمية أكثر من خدمتهم لأمريكا، وهذه المؤاخذه أو الإشكالية تقع اليوم من المتطرفين المنتسبين للإسلام -والإسلام براء من فكرهم وأعمالهم-.

حيث تلاعب هؤلاء التكفيريون -الخوارج- بمعنى الجهاد في الإسلام، فأطلقوه على أفعال إجرامية شنيعة منافية لمعاني الجهاد والإسلام، وشيم أهله حتى صارت الانتحارات والتفجيرات التي وقعت في بعض بلاد المسلمين، وذهب ضحيتها الكثير من الأبرياء معصومي الدم مسلمين ومعاهدين، مع إتلاف الأموال وترويع الأمنين، تبرر على أنها ضرب من ضروب الجهاد، وغرر ببعض الشباب في هذا المنزلق الخطير، وأوهم أن ذلك أسرع طريق لنيل الشهادة في سبيل الله، ودخول الجنة، والفوز بالخور العين، بينما هذه الأعمال المنكرة الشنيعة قد تكون أسرع طريق لدخول النار -والعياذ بالله-.

إذ إن طريق الجنة إنما يكون بالتزام طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ، وترك مخالفة أمر الله وأمر رسوله، والبعد عما يغضب الله ويسخطه، يقول النبي الكريم ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: ومن أبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». أي: أبى دخول الجنة.

وما قام به التفجيريون في الرياض مؤخرًا معصية ظاهرة للنبي ﷺ ومحادة لأقواله وأفعاله وسيرته ﷺ، فقد حرّم قتل النفس المؤمنة بغير حق، وحرّم قتل النفس المعاهدة، وحرّم الغدر، وحرّم الخيانة، وحرّم الخروج على ولي الأمر المسلم، وترك طاعته في المعروف، وحرّم الانتحار - وكل ذلك فعلوه والعياذ بالله -.

بل إن النبي ﷺ نهى في القتال المشروع مع الكفار عن قتل من ليس أهلاً للقتال كالنساء والصبيان والشيوخ والأجراء ونحوهم، فكيف إذا كان الذين يقتلون مسلمون آمنون ومعاهدون أعطوا الأمان على أنفسهم، وأموالهم، في بلد مسلم يحكم ولاته بشريعة الإسلام؟!!

إن قتل النفس المؤمنة، والمعاهدة بغير حق، وترك طاعة ولي الأمر المسلم في المعروف، والخروج عليه، والغدر والخيانة مما تواترت النصوص الشرعية بتحريمه، وأجمع المسلمون على عدم حله وتجريم فاعله، وكفره إن استحل ذلك، فكيف يكون ذلك جهادًا؟ وكيف يكون طريقًا للجنة؟!!

إن من قاموا بتلك الجرائم هم مثل الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم اتقاء لشرهم، وقال عنهم: «سفهاء الأحلام، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». وإن سلفهم هم الذين ثاروا على عثمان رضي الله عنه وقتلوه، وكفروا علياً رضي الله عنه وقتلوه، ثم تابع خروجهم في أزمنة مختلفة، وفي أمكنة متعددة.

وإن سلفهم بدلاً من أن يفيدوا من علم أصحاب النبي ﷺ كفروهم وقتلوهم، وسموا ذلك جهاداً، وهؤلاء بدلاً من أن يفيدوا من العلماء الربانيين الصالحين المخلصين في هذه البلاد رموهم بالعظائم، ونفروا الناس منهم، وتركوا طاعة ولي الأمر، وخرجوا عليه، ففعلوا ما فعلوا مما يندى له الجبين.

وإن الخطر يكمن فيمن يغذي هؤلاء التكفيريين بالفكر المنحرف، وقدماً كان يسمى من يغذي الخوارج بالفكر، ولا يقاتل معهم: قاعدة الخوارج، أو الخوارج القعدة، أي: يكتفون بالفكر ويتولى الأتباع من الشباب مهمة القتل، والتدمير باسم الجهاد، فلننتبه لقعدة الخوارج المعاصرين، وهم كثير لا كثرهم الله، وقى الله المسلمين شرهم.

إذا عرف هذا وتقرر فإن الجهاد في الإسلام له معنيان: أحدهما عام، والآخر خاص.

*** أما العام فهو:** بذل الجهد، واستفراغ الوسع من أجل نصرة دين الإسلام سواء فيما يتعلق بالشخص مع نفسه، أو مع غيره، فمع نفسه فبمجاهدتها؛ لتعلم شرع الله، والعمل به، ودعوة الناس إليه، والصبر على الأذى في ذلك، وهذا يسميه العلماء جهاد النفس، هذا نوع من الجهاد.

وهناك نوع ثانٍ، وهو ما يسمى بجهاد الشيطان، بالبعد عن الشهوات والشبهات.

وهناك نوع ثالث من أنواع الجهاد، وهو ما يسميه العلماء جهاد العصاة والمبتدعة، وهو على ثلاث مراتب: جهادهم بالقلب؛ بإنكار ما هم عليه من مخالفة للشرع، وجهادهم باللسان بأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر بعلم وحلم ورفق، وجهادهم باليد إذا كان للأمر والنهي ولاية على ذلك، أو أذن له ولي الأمر بذلك بحيث لا يترتب على تغيير المنكر منكر أشد.

وهناك نوع رابع من الجهاد وهو جهاد الكفار بالقلب، وذلك ببغضهم، وعدم محبتهم، وعدم موالاتهم، وإنكار ما هم عليه من باطل، وباللسان وذلك بدعوتهم إلى الإسلام، وترغيبهم فيه، والرد على أباطيلهم واقتراءاتهم على الإسلام وأهله، وبالمال وذلك بصرفه في الأوجه التي تعين على الدفاع عن الإسلام والدعوة إليه، وهذا كله مع جواز التعامل معهم وعدم ظلمهم.

فهذه اثنتا عشرة مرتبة من مراتب الجهاد كلها تدخل في المعنى العام للجهاد، منها ما هو فرض عين، وهو جهاد النفس، وجهاد الشيطان، ومنها ما هو فرض كفاية، وهما جهاد العصاة والمبتدعة، وجهاد الكفار على النحو المتقدم.

أما المعنى الخاص للجهاد، فهو: جهاد الكفار باليد - أي: قتالهم - فقد عرفه الفقهاء بأنه قتال مسلم كافرًا غير ذي عهد بعد دعوته للإسلام، وإبائه؛ إعلاءً لكلمة الله تعالى.

وهذا المعنى الأخير للجهاد يشترط له شروط، إذا لم تتوفر أو تخلف واحد منها، فلا يكون الجهاد مشروعًا فضلًا عن أن

يكون واجبًا، وهذه الشروط منها ما يتعلق بالمقاتل -الكافر-، ومنها ما يتعلق بالمجاهد المسلم.

*** فأما الكافر المقاتل فيشترط في ذلك أربعة شروط:**

١- **ألا يكون ذميًا** -والذمي: هو الكافر الذي يقيم في ديار المسلمين تحت ولايتهم-.

٢- **ألا يكون معاهدًا** -أي: بينه وبين المسلمين عهد وأمان-.

٣- **ألا يكون مستأمنًا** -والمستأمن هو الكافر من أهل الحرب إذا دخل ديار المسلمين بأمان-.

٤- **وأن يكون المقاتل من أهل القتال**، فلا يكون صبيًا، ولا امرأة، ولا ممن انقطع عن الناس وترك الجهاد، وأن يكون القتال بمقابلة الكفار في المعارك، وليس بالتفجيرات، والاغتيالات، والانتحارات.

*** أما بالنسبة للمجاهد المسلم فيشترط لذلك خمسة شروط:**

١- **الإخلاص لله تعالى** بأن يكون مقصوده إعلاء كلمة الله.

٢- أن يكون المسلم ذا قوة، وشوكة تخيف العدو: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٣- ألا يغلب على الظن ترتب مفسدة من القتال أعظم من مفسدة تركه.

٤- وجود القيادة الشرعية ووضوح الرؤية.

٥- إذن ولي الأمر -أي: الحاكم المسلم- إذ إن الجهاد موكول إليه، فهو الذي يعلنه دون غيره، وتلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك، قال ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ جَنَّةً يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيَتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ فَإِنْ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنْ أَمَرَ بِغَيْرِهِ فَإِنْ عَلَيْهِ وَزَرًا». متفق عليه.

وهذا الحديث فيه فائدتان ذكرهما العلماء -رحمهم الله:-

* إحداهما: أنه لا بد للناس من أمير يقاتل معه، وليس لأي جماعة أو طائفة أن تقوم بذلك، أو تعلنه إذ إن ذلك لا تتحقق فيه مصلحة؛ بل المفسدة فيه ظاهرة.

*** ثانيهما:** أنه لم يقيد ذلك بما إذا كان الإمام عادلاً.

ولم يختلف أهل العلم في الشروط المتقدمة، ومن أهمها أن يكون القتال تحت قيادة شرعية، ثم إن معرفة وقت مشروعية الجهاد من عدمه إنما هي لأهل العلم الراسخين دون غيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «ثم إن البحث في

هذه الدقائق من وظيفة خواص أهل العلم».

والأمر كما قال - رحمه الله - فإن الله يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

ولأن الجهاد المشروع هدفه الدعوة إلى الله، وإزالة المنكر بصورة المختلفة، والقاعدة الفقهية تقول: «إن إنكار المنكر يصبح حراماً إذا ترتب عليه ما هو أنكر منه، وأعظم مفسدة». وإنما يعرف ذلك العلماء الراسخون في العلم، فإذا كان المسلمون في بلد مسلم، وتحت قيادة شرعية - أي: حاكم مسلم - وسواء كان هذا الحاكم عادلاً، أو ظالماً، برّاً أو فاجراً، فإن أمر الجهاد موكول إليه وليس إلى غيره، وإلا كانت فوضى وفتنة.

وإن المتتبع لجهاد النبي ﷺ يجد أنه مرَّ بأربع مراحل:

*** المرحلة الأولى:** مرحلة الكف عن القتال وهي أطولها، حيث أمر بالتبليغ والإنذار والصبر على أذى الكفار، والصفح والإعراض عن المشركين، ولم يأمر أتباعه بقتل الكفار، أو اغتيالهم مع أن هناك من عذب من المسلمين وهناك من قتل.

*** المرحلة الثانية:** مرحلة الإذن بالقتال من غير أمر به، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]

*** المرحلة الثالثة:** مرحلة قتال من قاتل المسلمين والكف عن غيرهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٩٠]

*** المرحلة الرابعة:** لما صارت للمسلمين دولة وقوة كافية لقتال المشركين الذين يحولون بين الناس ودخولهم في الإسلام أمر النبي ﷺ بقتال المشركين كافة، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

وقد ذكر الفقهاء -رحمهم الله- أن هذه المراحل ليست منسوخة، وإنما يعمل بكل ما جاء في مرحلة بما يناسب حال المسلمين قوة وضعفاً، فإذا كان بالمسلمين قوة يقينية تخيف العدو فإنه يشرع للمسلمين الجهاد في سبيل الله وفق الضوابط الشرعية المتقدمة، وأما إذا كانت القوة مظنونة أو غير متيقنة، أو تكون سبباً لجر العدو لبلاد المسلمين بدون أن يغلب على الظن مقاومته وصد عدوانه فإنه لا يجوز المخاطرة بالمسلمين، والزج بهم في مخاطرات قد تؤدي بهم إلى النهاية غير الحميدة.

وقد رأينا بعض ما جرته بعض الأعمال الطائشة من نكبات على الإسلام والمسلمين كانت سبباً في أن يحقق الأعداء بعض مآربهم في ديار المسلمين.

وإن سيرة النبي ﷺ في مكة والمدينة هي خير شاهد على أن أمر الجهاد موكول للإمام، وأنه لا يجوز الزج بالمسلمين في مخاطر ومataها لا تُحمد عقباه.

نسأل الله أن ينصر دينه، وأن يعلي كلمته، وأن يقي المسلمين
شرور أنفسهم، وكيد أعدائهم.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.



الفهرس

الفهرس

- المقدمة..... ٥
- (١) الفكر الإرهابي الذي أنتج إرهاباً حسيّاً ١١
- (٢) رد على تعقيب الزهراني ٣٠
- * الوقفة الأولى: الرد على المخالف للكتاب والسنة أصل
- متقرر عند أهل السنة والجماعة ٣١
- * الوقفة الثانية: فكر سيد قطب يوافق فكر الخوارج ٣٢
- * الوقفة الثالثة: درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ٣٤
- (٣) افتراءات على الدعوة السلفية ٣٦

(٤) قراءة في فكر الجماعات الإسلامية ... إلى متى والبعض

يخذع؟ - ١ - ٤٣

قراءة في فكر الجماعات الإسلامية ... إلى متى والبعض

يخذع؟ - ٢ - ٥٤

(٥) شيء من فقه الجهاد في الإسلام ٦٥

الفهرس ٧٩



من
إصداراتنا

